الواعظ والمرأة

الواعظ الناصح:

قال رسول الله ﷺ: «**ما منكم من أحد إلا وقد وُكِّل به قرينه من الجن، وقرينه من الملائكة**»(١). وقال ﷺ: «**إذا أراد الله بعبد خيراً جعل له واعظًا من نفسه: يأمره وينهاه**»(٢). وفي رواية: «**من قلبه**». أي؛ ناصحًا ومذكرًا بالعواقب فيأمره بالخيرات وينهاه عن المنكرات ويذكره بالعواقب فيقطع العلائق والأسباب الداعية إلى موافقة النفس والشيطان ويصرف هواه إلى ما ينفعه ويستعمله في تنفيذ مراد ربه ويفرغ باله لأمر الآخرة فيقبل الله عليه برحمته ويفيض عليه من نعمته(٣).

فبعد أن كان للشيطان ما كان من صولات وجولات مع هذه المرأة وجعلها تتعرى من ملابسها قطعة بعد قطعة، وتكشف من جسمها جزءًا بعد جزء، وبعد أن تبرأ منها وأعلن خوفه من رب

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب: تحريش الشيطان، وبعث سراياه لفتنة الناس، وأن مع كل إنسان قرينًا.

(٢) رواه الديلمي في مسند الفردوس عن أم سلمة. ضعفه الألباني في ضعيف الجامع الصغير وزيادته، رقم: ٣٣٠.

(٣) المناوي: فيض القدير ٢٥٦/١.

obeikandl.com

العالمين، وبعد أن أُسقِط في يد هذه المرأة وعرفت لعبة الشيطان مع نفسها وأخذت تلوم نفسها على ما كانت تسوِّله لها، لاحت الفرصة للواعظ الذي في قلبها -الذي كان يحاول دائمًا تحذيرها وتنبيهها إلى خطوات الشيطان في تعريتها إلا أنها لم تكن تعطيه أذنًا صاغية، فقد استولى الشيطان عليها بأفكار الشر والفساد- لاحت له الفرصة فتودد إليها قائلاً:

- أفيقي أيتها المسلمة...! أفيقي من غفلتك...! أما آن لك أن يخشع قلبك لذكر الله وما نزل من الحق، بعد أن كنت طوال المدة السابقة ترفضين سماع الحق وتنصتين إلى الباطل...؟! يا مسلمة...! لقد سمعت كثيرًا للشيطان واتبعت خطواته التي تؤدي بك إلى النار... لقد استدرجك الشيطان من الحجاب إلى السفور والتعري و(المايوه)...! ومن الستر إلى الفضيحة...! ومن الحياء والعفة إلى الفجور والوقاحة...! لقد ميزك الله بحجابك وجعلك (سيدة حرة) حتى تُعرَفي فلا تتعرضي للأذى... فأبيتِ إلا أن تكوني (أَمَة جارية) سافرة وشبه عارية كالمرأة الجاهلية المشركة، بل وأكثر منها؛ فدعوت بذلك الرجال ليتعرضوا لك بالأذى بالنظرات والكلمات والتحرشات وغير ذلك... فهل آن الأوان لكي تسمعي الحق وتتبعيه حتى يؤدي بك إلى الجنة فلا تكوني واحدة من النساء اللاتي هن أكثر أهل النار...؟! هل آن الأوان لكي تعودي إلى حجابك وسترك وحيائك...؟! لا تفقدي الأمل فما زالت الفرصة سانحة أمامك للعودة إلى الحق والنجاة من

النار... وما زال باب التوبة مفتوحًا أمامك ما دمت تتنفسين وما دامت الروح في جسدك... فماذا تنتظرين...؟! أتنتظرين الموت ومجيء الملائكة لتقبض روحك وعندها لن ينفع الندم...؟!

- (المرأة تلوم نفسها دون أن تتكلم)...

- هل تنتظرين أن تموتي ثم تقولي: رب ارجعون لعلي أعمل صالحًا فيما تركت...؟! وإذا أعادك الله يومًا واحدًا إلى الدنيا فماذا أنت فاعلة فيه...؟! أتذهبين إلى الشاطئ لتعرضي جسمك العاري، أم تقرِّي في بيتك مصلية وراكعة وساجدة...؟! أتذهبين إلى الشارع والأسواق وأنت تلبسين آخر صرعات (الموضة) وأحدث (الموديلات) التي تكشف عن أجزاء من جسمك، أم تلبسين الحجاب وتلتزمين الأدب والحياء في خروجك الضروري...؟! فلماذا لا تكوني هكذا في يومك الذي تعيشين فيه الآن...؟! فربما اليوم أو غدًا موعد موتك...!

- (المرأة تلوم نفسها وتحتقن عيناها بالدموع ولا تتكلم)...

- فعمرك ليس إلا هذه الأوقات التي تنقضي كل يوم... وكل يوم يمر من حياتك تكوني قد اقتربت يومًا من موعد موتك... والله عزَّ وجلَّ يقول: ﴿**وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ**﴾[1]. واتقوا يومًا ترجعون فيه إلى الله... إنه يوم موتك... يوم عودتك إلى الله الواحد القهار... إنها

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٨١.

تلك اللحظة التي تلقي فيها آخر النظرات على البنين والبنات والأخوة والأخوات... إنها اللحظة التي تلقي فيها آخر النظرات على هذه الدنيا وتبدو على وجهك معالم السكرات... وتخرج من صميم قلبك الآهات والزفرات... إنها اللحظة التي لو كنت كافرة لآمنت ولو كنت فاجرة لأيقنت... إنها اللحظة التي تعرفي فيها حقارة الدنيا... إنها اللحظة التي تحسي فيها بالحسرة والألم على كل لحظة فرَّطتِ فيها في جنب الله... تنادي ربك: ربي ربي لولا أخَّرتني إلى أجل قريب فأصَّدَّق وأكن من الصالحين.

إنها اللحظة الحاسمة التي يجيء فيها ملك الموت حتى يجلس عند رأسك لكي ينادي... فيا ليت شعري هل ينادي نداء النعيم أم نداء الجحيم...؟! ألا ليت شعري هل يقول: أيتها النفس الطيبة، اخرجي إلى مغفرة من الله ورضوان...؟ أم يقول: أيتها النفس الخبيثة اخرجي إلى سخط من الله وغضب...؟! ألا ليت شعري هل تخرج نفسك فتسيل كما تسيل القطرة من فِي السِّقاء...؟ أم تفرَّق في جسدك فينتزعها ملك الموت كما يُنتزع السفود من الصوف المبلول...؟! ألا ليت شعري هل يخرج منها كأطيب نفحة مسك وجدت على وجه الأرض...؟ أم يخرج منها كأنتن ريح جيفة وجدت على وجه الأرض...؟! ألا ليت شعري هل تقول الملائكة: ما هذا الروح الطيب...؟ أم تقول: ما هذا الروح الخبيث...؟! ألا ليت شعري هل يقول الله عز وجل: اكتبوا كتاب عبدي في عِلِّيِّين...؟ أم

يقول: اكتبوا كتابه في سجِّين في الأرض السفلى...؟! ألا ليت شعري هل ينادي منادٍ من السماء: أن صدق عبدي، فافرشوه من الجنَّة، وألبسوه من الجنَّة، وافتحوا له بابًا إلى الجنَّة...؟ أم ينادي: أن كذب عبدي، فافرشوه من النار، وافتحوا له بابًا إلى النار...؟!

عودة إلى الحجاب:

تجهش المرأة بالبكاء، وتنهمر دموعها على خديها الناعمين وتتساءل:

- هل يغفر الله لي بعد كل الذي فعلته في حقه ثم في حق نفسي؟!

فيرد الواعظ:

- نعم... يغفر لك... فلا تقنطي... أما سمعت قوله تبارك وتعالى: ﴿**قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا من رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ**﴾[1]. ففري إلى الله يا أمة الله... توبي إلى الله توبة نصوحًا عسى ربك أن يكفر عنك سيئاتك ويدخلك جنات تجري من تحتها الأنهار.

- (يرتفع صوت المرأة بالبكاء)...

- نعم، ابك ولومي نفسك الأمَّارة بالسوء... فهذه علامة الندم وهي أول عمل صحيح على الطريق المستقيم، فاستغليها واعزمي

(١) سورة الزمر، الآية: ٥٣.

على عدم العودة إلى خلع الحجاب أينما كنت، ثم أكثري من العبادات والأعمال الصالحة والاستغفار، وادعي الله أن يتوب عليك ويغفر لك ويجعل الجنة مثواك.

- وكيف أعود إلى حجابي؟

- إن الباطل والشر والفساد والضلال هي وحدها التي تحتاج إلى خطوات وخطوات لأنها خداع واستدراج، وهذه طريقة الشيطان كما سلكها معك لأجل تعريتك من ملابسك...! أما الحق والخير والبر فلا يحتاج إلى خطوات وإنما خير البر عاجله... فهو خطوة واحدة فقط... أن تقومي إلى حجابك الكامل فتلبسيه دفعة واحدة... فتقطعي بهذه الخطوة الواحدة كل خطوات الشيطان السابقة التي أبعدتك عن حجابك وعفتك وحيائك... وبعدها إياك ثم إياك أن تخطي ولو خطوة واحدة من خطوات الشيطان...

- وكيف يكون الحجاب الكامل للمرأة المسلمة الذي أمر الله عزَّ وجلَّ به؟

- إن صفة حجابك قد حددها خالق السماوات والأرض ومن فيهن، وأنزل صفته من فوق سبع سماوات وفي قرآن يتلى إلى يوم القيامة، فهل تستوي المرأة التي تلبس حجابًا وضع صفته الله تبارك وتعالى مع المرأة التي تلبس ألبسة وضع صفتها الشيطان لعنه الله وأوحاها إلى أوليائه من مصممي الأزياء من الكفار والفجار وعبدة الأوثان؟!

- كلا لا تستويان...!

- وهل تستوي المرأة التي ميزها الله بحجابها حتى تُعرف فلا تتعرض للأذى، مع المرأة السافرة شبه العارية التي تدعو بسفورها الرجال ليتعرضوا لها بالأذى؟!

- بل لا مقارنة بين الاثنتين...!

- أحسنت... وفقك الله لما يحبه ويرضاه... فهلم إلى حجاب وضع صفته الله فقال تعالى: ﴿**وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ...**﴾ إلى قوله تعالى: ﴿**وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ**﴾[١]، وقوله جلَّ شأنه: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَابِيبِهِنَّ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ...**﴾[٢]، وقوله تعالى: ﴿**غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ...**﴾[٣]، وقوله عزَّ وجلَّ: ﴿**وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ...**﴾[٤]. فأنت كالجوهرة الثمينة التي يُخشى عليها من أعين اللصوص، فحجَّبك الله وغطَّاك، وميزك بحجابك عن المرأة المشركة والأمة الجارية لتكوني غالية الثمن، عزيزة القدر، عالية المقام. أما كيف تكون صفة الحجاب الكامل فهي أن يستر

(١) سورة النور، الآية: ٣١.
(٢) سورة الأحزاب، الآية: ٥٩.
(٣) سورة النور، الآية: ٦٠.
(٤) سورة الأحزاب، الآية: ٣٣.

جميع بدن المرأة، وألا يكون الحجاب زينة في نفسه أو ذا ألوان جذابة براقة تلفت الأنظار، وأن يكون سميكًا غير رقيق ولا شفاف بحيث لا تظهر البشرة من خلفه، وأن يكون واسعًا غير ضيق بحيث لا يحدد حجم الأعضاء كالنهدين والخصر والإليتين وغير ذلك، وألا يكون مبخَّرًا مطيبًا فضلاً عن ألا يكون جسمها معطرًا، وألا يكون فيه شبه بثياب الرجال وملابسهم، وألا يكون فيه شبه بثياب الكافرات وملابسهن، وألا يكون لباس شهرة يقصد منه لفت الأنظار.

- فماذا عن الحجاب الذي يُظهر الوجه والكفين وهو حجاب الكثير من الأخوات المسلمات؟

- ذلك اللباس أفضل من السفور ولمن تلبسه بنية الالتزام بالدين الأجر الكبير ولا يُبخس لها حقها، وإذا كان ذلك اللباس بهذا المستوى فأين تضعين الحجاب الكامل مع تغطية الوجه والكفين، بدرجة أعلى وأفضل من هذا المستوى أم بدرجة أدنى منه؟

- طبعًا، بدرجة أعلى وأفضل وليس في ذلك أدنى شك.

- أحسنت... فالحجاب الكامل مع تغطية الوجه والكفين أعلى وأفضل من الحجاب الذي يكشفهما، فانظري ماذا تريدين وأي الدرجات تختارين؟

- بعد أن مشيت على خطوات الشيطان فلا والله لا أرضى إلا بأعلى درجات التحجب. فلماذا أظهر وجهي ولمن؟!

- جزاك الله خير الجزاء...

خطوات التصحيح:

قامت المرأة فورًا وهي تجفف دموعها فتوضأت وصلت ودعت الله أن يغفر لها ويرزقها التوبة النصوح، وبدأت خطوات التصحيح... فرفضت من لحظتها الخروج بملابسها السابقة حتى وإن كان ذلك لأجل شراء الحجاب الكامل فأوصت من يشتريه لها... وأخذت تحافظ على الصلاة... وبدلاً من قراءة المجلات الفاسدة ومجلات الأزياء و(الموضة) أخذت تقرأ القرآن وتطالع الكتب الدينية وكتب الحديث... وبدلاً من سماع أشرطة الغناء أخذت تسمع الأشرطة الإسلامية... وبدلاً من مشاهدة البرامج التلفازية والمسلسلات الفاسدة صارت تشاهد ما توفر من البرامج الدينية التي تزيدها علمًا والتزامًا في دينها.

وعقدت النية على أنه في حال سفرها إلى الخارج في إجازة مع عائلتها أو زوجها فلن تختار السفر إلى بلاد الكفار بل إلى بلاد إسلامية أو عربية تستطيع فيها أن تبقى بحجابها كما هي في بلدها، وإن حصل أن سافرت إلى بلاد الكفر فستبقى أيضًا بحجابها وستفتخر بتمسكها به بدلاً من التنازل عنه لصالح ألبسة الكافرات والفاسقات اللاتي لن يغنين عنها من الله شيئًا مقابل تشبهها بملابسهن لأن «**من تشبَّه بقوم فهو منهم**»[1].

---

(١) صحيح سنن أبي داود، رقم: ٣٤٠١.

قامت بخطوات التصحيح هذه لأنها رأت أن طريقة حياتها السابقة هي التي مهدت لها ودفعتها إلى اتباع خطوات الشيطان في التعري من ملابسها... تلك الحياة التي كانت تمتلئ بالأبواب التي يستطيع الشيطان أن يدخل إليها منها فأخذت تسد هذه الأبواب... ثم أخذت تقلل من خروجها من البيت لأنها قرأت قول الله تعالى: ﴿**وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ**﴾[١]. فأخذت تحرص على ألا تخرج إلا لضرورة، وإن خرجت فهي تخرج غير متعطرة وبغير حذاء ذي كعب مرتفع أو له صوت يلفت انتباه الرجال، وبحجاب كامل يدل على مدى تدينها والتزامها... وبدلاً من نظرات الشهوة التي كان يرمقها بها بعض الرجال في السابق وينظرون إليها على أنها وسيلة لإثارة غرائزهم ويتمتمون بكلمات الفسق والفجور سرًا وعلانية، أخذت نظرات بعض الشباب تنقلب إليهم خاسئة، هذا إن وقعت نظراتهم عليها مصادفة، أما نظرات بعض الرجال المتزوجين التي كانت تقع عليها مصادفة فكانت تحمل معاني التقدير والاحترام وكل منهم يتمتم في نفسه قائلاً: ما شاء الله! يا ليت زوجتي مثلها...!.

وقرأت هذه الأخت المسلمة حديث رسول الله ﷺ: «**خير النساء من تسرك إذا أبصرْت، وتطيعك إذا أمرْت، وتحفظ غيبتك في نفسها ومالك**»[٢]. فصارت تتزين لزوجها وتتعطر حتى تبدو بأجمل

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٣٣.

(٢) صحيح الجامع الصغير، رقم: ٣٢٩٩.

شكل وأطيب رائحة حتى تسره إذا نظر إليها، بدلاً من السابق، حيث كان هذا التزين والتعطر للرجال في الشوارع أو للصديقات، أما زوجها فكان نصيبه ملابس الطبخ ورائحة البصل والثوم... كذلك صارت تطيع زوجها عندما يأمرها بما لا يخالف الشرع، بدلاً من السابق عندما كانت تعصي أوامره باستمرار وتخاطبه بمصطلحات الكفار التي روجوها على نساء المسلمين عبر وسائل الإعلام المختلفة ليتمرَّدن بها على أزواجهنَّ وليعكسن قول الله تعالى: ﴿**الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ**﴾[١]، ليصبح (النساء قوامات على الرجال)...! كذلك أخذت تحفظ زوجها في نفسها وماله بدلاً مما كانت تفعله في السابق حيث كانت إذا غابت عنه هنا وهناك تخونه في نفسها بخيانات مختلفة صغيرة وكبيرة، وتبذِّر ماله فيما هو مفيد وفيما هو مضر، وفيما هو ضروري وفيما ليس ضروريًا، وتبذِّره على شراء ملابس (الموضة) التي سرعان ما تُلغى لصالح (موضة) جديدة أخرى لأجل مزيد من التبذير وذهاب هذه الأموال إلى جيوب المغضوب عليهم الذين يسعون في الأرض فسادًا، الذين قالوا: ﴿**إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ**﴾[٢]، ﴿**وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا**﴾[٣]، أو جيوب الضَّالِّين الذين

(١) سورة النساء، الآية: ٣٤.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٨١.

(٣) سورة المائدة، الآية: ٦٤.

قال الله عنهم: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾[١]، وقال تعالى عنهم: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ﴾[٢].

وصار البرنامج اليومي لهذه الأخت المؤمنة أن تقوم وقت السحر فتصلي قيام الليل إلى أن يؤذن لصلاة الفجر فتصلي ثم تقعد لتقرأ القرآن والتفسير إلى أن تطلع الشمس فتصلي ركعتين فيكون لها كأجر حجة وعمرة تامة، كما تعلمت من أقوال الرسول ﷺ: «**من صلى الفجر في جماعة، ثم قعد يذكر الله حتى تطلع الشمس، ثم صلى ركعتين، كانت له كأجر حَجَّة وعُمْرة**». قال رسول الله ﷺ: «**تامة تامة تامة**»[٣] وبعد أن كانت داعية إلى السفور والتعري أصبحت تدعو أخواتها وبناتها وصديقاتها إلى الحجاب وترغبهنَّ به وتحكي لهنَّ تجربتها مع خطوات الشيطان... وصارت تكثر من العبادات والأعمال الصالحة كالصدقة وصيام النفل...

وداومت على هذا الحال مدة من الزمن فكان زوجها من أسعد الأزواج... يحسده على هذه المرأة الصالحة كثير من الرجال... وكان عنها راضيًا جدًا حتى إنه كان لا يصدق أن ينتهي من عمله حتى يعود إلى لقياها والجلوس معها حيث كان يعجبه حديثها خاصة عن

(١) سورة المائدة، الآية: ٧٢.

(٢) سورة المائدة، الآية: ٧٣.

(٣) صحيح سنن الترمذي، رقم: ٤٨٠.

الدين وعما حفظته من القرآن الكريم والحديث الشريف... فكان يضمها ويقبل رأسها...

خاتمة حسنة:

وفي إحدى الليالي وكالعادة أخذت تتحدث مع زوجها عن الدين... لكن هذه المرة كان حديثها مختلفًا... فقد كانت تتحدث عن لقاء رب العالمين وعن الجنة والنظر إلى وجه الله الكريم... وأنهت حديثها قائلة بأنها قد تعلمت أحاديث نبوية جديدة وهي قول الرسول ﷺ: «**إذا صلت المرأة خمسها، وصامت شهرها، وحصَّنت فرجها، وأطاعت زوجها، قيل لها: ادخلي الجنة من أي أبواب الجنة شئت**»[١] ثم ختمت كلامها بحديث آخر: «**أيما امرأة ماتت وزوجها عنها راضٍ دخلت الجنة**»[٢] ثم أسندت رأسها على صدر زوجها فقبَّل رأسها كالعادة... ولكنها هذه المرة أطالت إسناد رأسها على صدره فظنها قد نامت... لكنه اكتشف أنها ماتت وأسلمت الروح إلى باريها دون أن يشعر بأي شيء... فأجهش بالبكاء وأكب عليها يغمرها بالقبلات ويغسلها بالدموع... وقال والدموع تنهمر من عينيه كالنبع الدافق: أشهد أنك قد أطعتيني... أشهد أنني عنك راضٍ... أشهد أنني عنك راضٍ... أشهد أنني عنك راضٍ...

---

(١) صحيح الجامع الصغير، رقم: ٦٦٠.

(٢) رواه الترمذي وابن ماجه والحاكم. ضعفه الألباني في ضعيف الجامع الصغير وزيادته، رقم: ٣٣٠.

﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَادْخُلِي فِي عِبَادِي ﴿٢٩﴾ وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾[1]

(٣) سورة الفجر، الآيات: ٢٧-٣٠.

obeikandl.com